أسباب النصر والتمكين في القرآن الكريم

د. محمد مكي عبد الرزاق

قسم التربية الإسلامية/ كلية التربية للبنات

المقدمة...

إن سنة الله في نصر المؤمنين المقررة باخبار الله وأعلامنا بها في القرآن الكريم هي سنة مؤكدة يقينا لا يدانيها شك ولا تنتقص أو تتزعزع بما يرى من واقع المسلمين في كونهم مغلوبين لا غالبين ومقهورين من قبل أعدائهم غير منصورين عليهم لأن هذه السنة هي في نصر المؤمنين.

والمؤمنون الذين يكونون مؤمنين بأوصاف ومقاييس ومعاني الإيمان التي بينها الله تعالى في كتابه العزيز وبينها رسول الله ﷺ في سنته النبوية الكريمة المطهرة، لا أن يكونوا مؤمنين بمقاييسهم وتخيلاتهم وأمانيهم، فعدم انتصار على أهل الباطل يعني أن الأيمان المطلوب منهم وما يستلزمه هذا الإيمان وتقتضيه من صفات وافعال غير متحقق فيهم، وبالتالي لا يستحقون نصر الله الموعودون به.

ومعلوم أن الإيمان وحده لا يغني عن عوامل النصر المادية مثل عُدَدْ القتال وعَدَدْ المقاتلين وغيرها من وسائل القتال ومستلزماته وكذلك وسائل الفوز والغلبة المادية في غير ساحة القتال أي في سوح الجهاد الأخرى ومدافعة الباطل في هذه السوح ولهذا أمرنا الله تعالى لأعداد القوة المادية في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾[1].

وأن المتأمل لآيات القرآن الكريم يجد أن الله تعالى قد وضع شرطاً أساساً لنصر المؤمنين على أعدائهم وتمكينهم في الأرض هذا الشرط هو نصرتهم له تعالى، إذ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[2] ويقول أيضاً: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[3] ولكن كيف ننصر الله سبحانه كما أمرنا فيعلمنا في آية أخرى حيث يقول: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾[4].

فالله سبحانه يطالبنا بأن ننصره على نفوسنا لنكون أهلاً لأن ينصرنا على أعدائنا ويمكننا في الأرض.

فأن الله تعالى ينصر المؤمنين أهل الحق على مخالفيهم أهل الباطل إذا باشر المؤمنون بأنفسهم بأسباب النصر والفوز التي أرشد إليها وأمر بها الله تعالى، وأبعدوا عن

أنفسهم وعن جمعهم أسباب الفشل ومعوقات النصر ضمن أسباب النصر الواجب على المؤمنين تحصيلها وتحقيقها كما وردت في القرآن الكريم.

ومن دواعي كتابتي في هذا الموضوع حاجة الأمة الإسلامية لرفع الظلم والقهر عنها وتحرير أراضيها وكان منهجي في هذا البحث:

أولاً: أجتهد في إظهار الوحدة الموضوعية لأسباب النصر والتمكين في القرآن مع أن الموضوع مطلق وغير مقيد.

ثانياً: ما عرضنا في هذا البحث رددناه الى أصول مصادره الرئيسة الخالصة من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة المجتهدين من فقهاء وعلماء التفسير البارزين في هذا الميدان.

ثالثاً: استخدمت منهج الاستنتاج في فهم الآية التي لها صلة بالموضوع في بعض السور الأخرى.

رابعاً: عزوت كل قول الى قائله.

خامساً: حرصت على أن أعزو الآيات الى سورها وذكرت أرقامها، كما حرصت على تخريج الأحاديث وكانت خطتي في البحث عن (أسباب النصر والتمكين في القرآن) على النحو التالي:

المطلب الأول: الإيمان العميق بالله تعالى.

المطلب الثاني: ذكر الله ذكراً كثيراً.

المطلب الثالث: إعداد القوة والجهاد.

المطلب الرابع: التقوى.

المطلب الخامس: الصبر والمصابرة.

ثم خاتمة البحث وذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من النتائج.

ثم قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد:

السبب لغة: كل شيء يتوصل به إلى غيره[٥].

واصطلاحا: كل أمر جعل الشارع وجوده علامة على وجود الحكم، وعدمه علامة على عدمهِ[٦].

وقد دلَّ القرآن الكريم على أن كلَّ شيء يحدث بسبب سواء كان هذا الحدث يتعلق بالجماد أو النبات أو الحيوان أو الإنسان أو الإجرام السماوية أو الظواهر الكونية المادية المختلفة، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾[٧].

والمعنى آتاه الله من كل شيء معرفة وذريعة يتوصل بها فأتبع واحداً من تلك الاسباب[٨].

قال الزمخشري: «السبب ما يتوصل به من علم أو قدرة أو آلة فالمنظور إليه كون الشيء سبباً هو كونه موصلاً إلى غيره سواء كان هذا الشيء مادياً كآلة من الآلات المادية أو كان معنوياً كالعلم والقدرة»[٩].

فقانون السببية أي ربط المسببات بأسبابها والنتائج بمقدماتها، هذا القانون عام شامل لكل ما في العالم ولكل ما يحصل للإنسان في الدنيا والآخرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية «فليس في الدنيا والآخرة شيء الا بسبب، والله خالق الأسباب والمسببات»[١٠].

فمن الأسباب المادية قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾[١١].

ومن الأسباب المعنوية أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[١٢].

والقرآن الكريم مملؤ من ترتيب الأحكام الكونية والشرعية والثواب والعقاب على الأسباب بطرق متنوعة، فيأتي بباء السببية كقوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾[١٣].

وباللام تارة كقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾[١٤].

ويأتي بذكر الوصف المقتضي للحكم تارة كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[١٥].

فلله تعالى اقتضت حكمته ربط المسببات بأسبابها[١٦].

«وكون الشيء سببا لغيره أو كونه مسبباً عن غيره هو من فعل الله تعالى وحكمه، فهو تعالى خالق الأسباب والمسببات»[١٧].

النصر لغة واصطلاحاً

النصرُ: العون، قال تعالى: ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾[١٨].

وقال أيضاً: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾[١٩].

وقال أيضاً: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾[٢٠].

والتناصر: التعاون[٢١].

ونُصِرَ أرضُ بني فلان، أي: مُطِرَ، وذلك أن المطر هو نصرَةُ الأرض، أو ونصرتُ فلاناً: أعطيته، إما مستعار من نصر ارض أو من العَون.

التمكين لغة واصطلاحاً:

المكان عند أهل اللغة: الموضع الحاوي للشيء وعند بعض المتكلمين أنه عرضٌ، وهو اجتماع جسمين حاو ومحوى، وذلك أن يكون سطح الجسم الحاوي محيطاً بين الجسمين قال تعالى: ﴿مَكَانًا سُوًى﴾[٢٢]. وقال أيضاً: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾[٢٣].

المطلب الأول
الإيمان العميق بالله تعالى

الإيمان لغة: التصديق والأمن ضد الخوف و(الأمنة) الامن كما ذكر في قوله تعالى: ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾[١٨]. والامنة الذي يثق بكل امر وكذا الامنة بوزن الهمزة[١٩].

أصطلاحاً: اذعان النفس للحق على سبيل التعريف وذلك باجتماع أمور ثلاثة تصديق القلب وإقرار باللسان وعمل كسب ذات الجوارح، ويقال لكل واحد من الاعتقاد والقول الصدق والعمل الصالح ايمان، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ﴾[٢٠].

أي بمصدق لنا[٢١].

فمن اسباب النصر الذي مضت به سنة الله في النصر وأخبرنا بها الله تعالى الايمان، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢٢].

وذكر صاحب تفسير المنار في هذه الآية وهي نص في تعليل الايمان[٢٣].

وقال تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢٤).

أي أن من كان الله في نصره لم تغلبه فئة وأن كثرت(٢٥).

وقال الآلوسي: «وظاهر الآية ان هذا النصر في الدنيا وأنه عام لجميع المؤمنين فيشمل من بعد الرسل من الامة»(٢٦).

ومن الواضح أن هذه المعية في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢٧) هي معية خاصة بهم ولهم بسبب أيمانهم، فهي تتناسب مع مقدار ايمانهم وعمقه ومدى تأثرهم به.

ولا شك ان الصحابة الكرام بهذه الآية بوصف المؤمنين وأن (الله معهم) كان لهم النصيب الاكبر من هذه المعية الخاصة لأهل الإيمان، لما عرفوا به من عمق الإيمان وسعته وتأثيرهم به. ولذلك تحقق لهم النصر عن قلة، وبالرغم من كثر عدد أعدائهم في زمن النبي ﷺ وبعد وفاته (فمعية الله) للمؤمنين بالعون والتأييد ثم بالنصر تتناسب طردياً مع كمية الإيمان وعمقه في نفوس المؤمنين(٢٨).

والاسلام دين واقعي لا يغفل عما في العوامل المادية من قوة وهو يقدر ما للإيمان من قوة ومن سببية في النصر، ولكن هذه القوة للايمان في النصر لها مدى محدود بينه الله تعالى حتى لا نغالي في الامور، ونعطي لكل شيء حقه من التقييم والنقد من دون مغالاة فلا نقع في الوهم والخطأ في الحساب والتقدير فنخسر ولا ننتصر على عدونا ويدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾(٢٩).

وقد دل تأثير القوة المادية في نفوس المقاتلين المؤمنين والكافرين قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾(٣٠).

وجاء في تفسير هاتين الآيتين ان الله تعالى أرى رسوله ﷺ في منامه عدد الكفار قبيل بدء القتال في معركة بدر فاخبر رسول الله ﷺ بذلك أصحابه فكان ذلك الاخبار تثبيتا لهم وتشجيعاً على عدوهم، وبين الله لنبيه ﷺ أنه (لو آركمهم كثيراً) أي لو أراك عدد الكفار كثيراً (لفشلتم) أي لأصاب المؤمنين ضعف ووهن من الاقدام والهجوم على الكفار (ولتنازعتم) أي ولحصل نزاع واختلاف بين المؤمنين وتفرق كلمتهم فيها ليصنعونه من مقاتلتهم او الانصراف عنهم وعدم مقاتلتهم، ثم بين الله تعالى أنه أرى المؤمنين عند لقائهم بالعدو أراهم إياهم قليلاً تصديقاً برؤية رسول الله ﷺ وليعاينوا ما اخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا في قتالهم (ويقللكم في أعينهم)، أي يقلل المؤمنين في اعين الكفار مما يجرئهم على الاندفاع في المقاتلة مع قلة مبالاتهم بهم فتفجؤهم كثرة المؤمنين التي لم يتوقعوها ولم يروها باعينهم فيقع القتل فيهم وينتصر المؤمنون عليهم(٣١).

ووجه الدلالة بهاتين الآيتين وما جاء في تفسيرهما ان القوة المادية وهي هنا كثرة عدد المقاتلين أو قلتهم لها تأثيرها في النفوس من جهة الاندفاع في القتال والشجاعة فيه وفي نتيجته من نصر او خذلان لأنه اذ رأى هذا الفريق قلة عدد خصمه فهذا يجرئه على الاندفاع الى قتاله ويزيدهم في ثباته ويزداد امله في التغلب عليه بخلافهما فيما اذا رأى كثرة عدد خصمه فهذا قد يحمله على التردد في قتاله والصمود فيه اذا باشره ومثل القوة بعدد المقاتلين من حيث كثرتهم وقلتهم وتأثير ذلك على النحو الذي بيناه القوة بالسلاح ونوعيته وكثرته وقلته، والقوة بسائر مستلزمات القتال والتدافع بين أهل الحدق وأهل الباطل في ساحة القتال وفي غيرها من سوح الجهاد(٣٢).

فالايمان ليس مجرد اعلان المرء بلسانه أنه مؤمن، فما اكثر المنافقين الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾(٣٣).

وليس هو مجرد قيام الانسان باعمال وشعائر أعتبر ان يقوم بالمؤمنين، فما اكثر الدجالين الذين يتظاهرون بالصالحات واعمال الخير وشعائر التعبد وقلوبهم خراب من الخير

والصلاح والاخلاص، فالله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٣٤].

وليس هو مجرد معرفة ذهنية بحقائق الايمان، فكم من قوم عرفوا حقائق الايمان ولم يؤمنوا ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[٣٥] وحال الكبر أو الحسد أو حب الدنيا بينهم وبين الايمان بما عملوه من بعد ماتبين لهم الحق.

المطلب الثاني
ذكر الله ذكراً كثيراً

الذكر لغة (الذّكر)، (الذّكرى) و (الذّكرة) ضد النسيان ذكرته ذكرى عبر مجراه واجعله منك على (ذكر) و (ذكر) بضم الذال وكسرها بمعنى، و(الذكر) الصيب والثناء، قال تعالى: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾[٣٦].

أي ذي الشرف، و(ذكره) بعد النسيان وذكره بلسانه وبقلبه يذكره ذكراً[٣٧].

فمن عوامل الفوز والنصر للمؤمنين ذكر الله كثيراً قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣٨].

والمعنى يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة من أعدائكم الكفار وكذا من البغاة في القتال فاثبتوا لهم ولا تفروا من امامهم فان الثبات قوة معنوية طالما كانت من اسباب النصر والغلبة بين الافراد والجيوش ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي واكثروا من ذكر الله في اثناء القتال وقبله ثم امر سبحانه بذكروه في قلوبكم بذكر قدرته ووعده بنصر رسله والمؤمنين وبمعيته الخاصة للمؤمنين الصابرين ويذكر نهيه تعالى لكم عن اليأس مهماً اشتد البأس وبان النصر والفوز بيد الله تعالى ينصر من يشاء وهو القوي العزيز، وفي الامر بذكر الله تعالى كثيراً اشعار بان على المسلم ان لا يفتر عن ذكر ربه ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وهذا رجاء بالفلاح منوط بالامر من كليهما أي بالثبات وذكر الله تعالى فهما السببان للفلاح والفوز بالنصر في الدنيا ثم ثبت الثواب في الآخرة[٣٩].

وان ذكر الله مطلوب في مدافعة أهل الباطل كما يذكره اهل الحق في مواقعهم لاهل الباطل في القتال[٤٠].

وهذا صحابي جليل من صحابة الرسول ﷺ للذين ضربوا اروع الامثلة في تاريخ البشرية بموافقتهم الفذة وايمانهم الذي لا يلين فعبد الله بن مسعود اول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة، اجتمع يوماً اصحاب الرسول ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهم فقال عبد الله بن مسعود انا قالوا: «أنا نخشاهم عليك، انما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم، أن ارادوه»(٤١).

بثقة المؤمن بمعية الله، وهو الضعيف جسدياً حتى كان بعض الصحابة يضحك من نحافة ساقيه، وهو الذي ليس له عشيرة يحمونه ويدرءون عنه، ما يلاقي وهو المسلم الذي تبع هذا الدين الجديد الذي يسفه ألهتهم وهو راعي الغنم المسمى عندهم (ابن ام معبد) فيقول: دعوني ان الله سيمنعني بهذا الايمان فقط ولا يملك سواه اتاهم ضحى وهم يلعبون وأمام صناديد قريش وزعمائهم يقف مقام ابراهيم «ثم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم –رافعاً صوته– الرحمن علم القرآن– فتأملوه، فجعلوا يقولون: ماذا قال ابن ام عبد؟ قالوا: أنه يتلو بعض ما جاء به محمد ﷺ فقاموا اليه فجعلوا يضربون في وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء ان يبلغ، ثم انصرف الى اصحابه وقد اثروا في وجه، فقالوا له: هذا الذي خشينا عليك».

ولكن القوم يجهل الشعور والحال الذي كان يعيش فيه ابن مسعود ﷺ وهو يقرأ القرآن وهم يضربونه، ويعلموا أنه ادرك بعد هذه التجربة الصغيرة مع اهل الباطل أنه قوي مع الله وهم ضعفاء لا يملكون سوى الضرب والتهديد، وهم اضعف من ان يقارعوا الحجة بالحجة، ادرك ذلك ادراكاً لا يشك فيه ابداً، لذلك اجاب الصحابة ما كان اعداء الله أهونُ علي منهم ألان، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غداً، قالوا: لا حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون(٤٢).

المطلب الثالث
اعداد القوة

القوة لغة: ضد العنف، والقوة الطاقة من الحبل وجمعها (قوى) ورجل شديد (القوى) أي شديد اسر الخلق، و(أقوى) الرجل اذا كانت رايته (قوية) يقال: فلان (قوي مقوي) فالقوي في نفسه والمقوي في دابته(٤٣).

وجاء في الآية الكريمة: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾(٤٣) (فجاءت كلمة القوة) نكرة غير محددة بنوع معين من انواع القوة، وانما ذكر نوعاً منها وهو ﴿رِبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾

تخصيصاً لها مما يتقوى به، ولا شك ان مما يشمله معنى القوة التي يمكن للمسلمين موافقة العدو بها انواع وسائل القتال وعدده في كل زمان ومكان هل القوة من المسلمين أعدادها لمدافعة العدو والتغلب عليه ورد شره، هل معنى القوة يكمن في سلاح القتال فقط؟ الذي يتبين لنا من معاني القوة واستعمالها انها تعني القدرة على تنفيذها ارادة صاحبها شاء الغير أم أبى هذا التنفيذ، ومتعلق الارادة المراد تنفيذها قد يكون دفع الغير أو ابعاده أو ازالته أو التسلط عليه أو حكمه أو الزامه بدفع شيء، وهذه القوة تحقق بما يتحقق به معناها وهو القدرة على تنفيذ ارادة صاحبها، فقد يكون تحقيقها باعداد السلاح للجند، وتدريبهم على فنون القتال، وتربيتهم على معاني الايمان التي تهيئهم للقتال في سبيل الله والرغبة في الشهادة في سبيله كما تحقق القوة بالقيادة الكفؤة، ويتوفر ما يحتاجه الجند من طعام ولباس وحصون ونحو ذلك تكون الدولة مكتفية ذاتياً من الناحية الاقتصادية والإنتاجية، وتتحقق القوة بالعلم والمعرفة الضرورية لتحقيها وبايجاد العلماء في جميع المجالات مثل مجالات الزراعة والصناعة بانواعها، وكل الذي ذكر هنا تختلف باختلاف المكان والزمان الا تربية النفوس على معاني الايمان في ماهيته التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان(٤٤).

ومن اعداد الجند المدرب فيلزم تدريبهم وإعدادهم أعداداً إيمانيا على أساس معاني العقيدة الاسلامية، واعدادهم اعداداً مادياً على استعمال مختلف الاسلحة وفنون القتال واجراء التدريبات العسكرية والتمارين او ما يسمى بالمناورات العسكرية بين حين وأخر حتى لا ينسوا ما تعلموه وقد يكون في حديث رسول الله ﷺ دليلاً لما نقول: فقد جاء في حديث رسول الله ﷺ «**من تعلَمَ الرمي ثم تركه فليس منا**»(٤٥).

ويجب ان تكون قوة للمسلمين مرهبة للعدو لان الله تعالى امرنا باعداد القوة لنرهب بها عدوه وعدونا، ومعنى ذلك ان القوة التي نعدها يجب ان تكون مرهبة للعدو وهي لا تكون كذلك ألا اذا كانت اكبر واقوى من قوته بحيث تجعله يخاف ان يتحرش بالمسلمين وبدولتهم ويرهب قوتهم وبالتالي ييأس من امكان ان يحصل على شيء من المسلمين ودولتهم اذا هجم عليهم او تعرض لبلادهم، فينكف شره عن المسلمين واعداد هذه القوة المرهبة للعدو الضروري ولا يجوز التكاسل عنه او التفريط فيه، اذ لا يكفي ان نقول اننا على حق وانهم على باطل لننتصر عليهم فلا بد للحق من قوة تحميه وتخيف الباطل واهله وتمنعهم من التحرش بدولة الاسلام(٤٦).

واذا صحت العزيمة للجهاد بقتال العدو والدفاع عن دار الأسلام، فهذا وحده لا يكفي بل لا بد من اعداد القوة اللازمة للجهاد كما امر الله تعالى بقوله: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا**

﴿ ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[٤٧].

فقوله تعالى: ﴿ مِّن قُوَّةٍ ﴾ أي من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها، ﴿ وَمِن رِّبَاطِ ﴾ والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله، تخصيصاً للخيل من بين ما يتقوى به ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ أي ترهبون لهذا الذي تعدونه عدوا الله وعدوكم على اختلاف أجناسهم ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ ﴾ أي من غيرهم من الكفرة الذين لا تعرف عداواتهم ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ قليلاً او كثيراً كان أو غيره اعداد المستطاع من القوة والمرابطة في ثغور المسلمين يعطيكم الله جزاؤه وافياً[٤٨].

المطلب الرابع
التقوى

التقوى في تعارف الشرع حفظ النفس عما يؤثم وذلك بترك المحظور[٤٩].

ويمكن تعريف التقوى بانها حفظ النفس عما يؤثم ومع الاثم العقاب، وذلك بفعل الواجب وترك المحرم شرعاً، ويمكن القول التقوى تجمع فعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه[٥٠].

وقال تعالى: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾[٥١].

وفي وصية عمر بن الخطاب ﷺ لسعد بن أبي وقاص وجنده في حرب العراق، جاء في هذه الوصية «فإني امرك ومن معك من اجناد بتقوى الله على كل حال فان التقوى افضل العدة على العدو واقوى المكيدة في الحرب، وامرك ومن معك ان تكونوا اشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم فان ذنوب الجيش أخوفُ عليهم، من عدوهم، وانما ينصر المسلمون بمعصية أعدائهم لله، ولو لا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لان عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم فان استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ولا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا، واعلموا انه عليكم في مسيركم حفظة من الله، ولا تقولوا ان عدونا شر فلن يسلط علينا وان أسأنا، فرب قوم قد سلط عليهم شرٌ منهم كما سلط على بني اسرائيل لما عَمِلوا بمساخط الله، كفار المجوس خلال الديار وكان وعداً مفعولاً، وأسالوا الله العون على انفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم، أسأل الله ذلك لنا ولكم»[٥٢].

ويذكر الامام علي بن ابي طالب ﷺ اركان التقوى الاربعة والتي هي بمثابة الانوار الكاشفة التي تزيل ظلمة حب الدنيا من القلوب، وغياب احدها يجعل في القلب بقية من ظلمة حب الدنيا، فيقول «التقوى هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل»(٥٣).

فاذا تملك الانسان الخوف من الله، والخوف من حسابه، والخوف من عقابه في الدنيا على ما يقترف من المعاصي والتقصير، والخوف من عقابه في القبر وعقابه في الاخرة، فان هذا الخوف يجعله يبتعد عن كل محرم او مشبوه، ويجعله يحرص على الاوقات ان تضيع في اللعب واللهو والزينة على حساب التقرب الى الله، وهذا الخوف هو الذي يدفعه للحمل بكل ما امره به الله والابتعاد عما نهاه عنه، والقناعة بالقليل، تجعله لا يهلك نفسه ووقته من اجل زيادة درهم، او ثناء الاخرين عليه بما يحصل عليه من درجة ومنصب بل يقنع بما يقيم حياته من الرزق ويكفه عن مسألة الناس ويستغل وقته في التقرب الى الله، والذي يسيطر الخوف عليه من الله والخوف من لحظة الموت ان تأتي وهو بعد لم يعمل كما عمل العاملون، فان ذلك يدفعه للاستعداد الدائم للاخرة، فلا تراه يضيع وقته في غير ذلك، وان انشغل بالمباح في بعض الفترات فانما لينطلق بعد ذلك بهمة اكبر نحو الاخرة، وبذلك فهو يبدد ظلمة حب الدنيا بتقواه من الله(٥٤).

فأعظم أساسين في نظر القرآن بعد الايمان هما التقوى والعمل الصالح، فالتقوى هي ترك المحظور والاجتناب عن الذنوب والسيئات والعمل الصالح: هو فعل المأمور لكسب الخيرات ففي هذا الوقت الذي يتسم بالدمار الأخلاقي والروحي وبأثارة هوى النفس الإمارة بالسوء، وبإطلاق الشهوات من عقالها، تصبح التقوى اساساً عظيما جدا بل ركيزة الاسس، وتكسب أفضلية عظيمة، حيث انها دفع للمفاسد وترك للكبائر، اذ ان درء المفاسد أولى من جلب المنافع قاعدة مطردة في كل وقت، حيث ان التيارات المدمرة (للروح والأخلاق) أخذت تتفاقم في هذا الوقت فقد أصبحت التقوى أعظم أساس واكبر أمام هذا الدمار الرهيب(٥٥).

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴾(٥٦).

أي من يتق الله يعمل ما امره به وترك ما نهاه عنه يجعل له مخرجاً من كل شدة ويرزقه من حيث لا يرجو ولا يأمل ويبارك له فيما اتاه، ومن يتوكل على الله أي من فوضَ اليه امره كفاه ما أهمه(٥٧).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾(٥٨).

فالله تعالى مع المتقين بتأييده ونصره ومعونته وهديه، وهذه معية خاصة للمتقين كقول النبي ﷺ لابي بكر وهما في الغار كما حكاه الله عنه «اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا»[٥٩].

ومعنى ﴿ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ أي تركوا المحرمات وعملوا الواجبات فهؤلاء يحفظهم الله ويؤديهم وينصرهم على اعدائهم[٦٠].

وقال تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[٦١].

أي إن تصبروا على لقاء العدو وتتقوا معصيته يمددكم ربكم بما ذكر بالآلف الملائكة [٦٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[٦٣].

أي لو ان اهل القرى آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله اليوم واتقوا ما نهى الله عنه وحرمه لفتحنا بركات من السماء والارض أي بالمطر والنبات ولكن كذبوا الرسل فأخذهم الله بالحرب والقحط بما كانوا يكسبون من الكفر والمعصية[٦٤].

المطلب الخامس
الصبر والمصابرة

الصبر لغة: (الصبر) حبس النفس عن الجزع (والتصبير) تكلف الصبر[٦٥].

والصبر: شرعاً على ثلاثة انواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله وصبر على البلاء والمصائب.

اما الصبر على طاعة الله فيكون بالمحافظة عليها دوماً والاخلاص فيها ووقعها على مقتضى الشرع، وما يعين على تحصيله المعرفة بالله وحقه على العباد، وحسن الجزاء للمطيعين وأما الصبر عن المعصية فيكون بهجر السيئات والفرار من المعاصي والدوام على هذا الفرار وذلك الهجر ومما يعين على تحصيل هذا الصبر استحضار المؤمن عذاب الله، واعلى من هذا استحضار الحياء من الله والمحبة له، مع استحضار ثمرة هذا الصبر وهي ابقاء الايمان وتقويته وذلك لان المعصية تنقص الايمان، او تضعفه او تذهب نوره وبهاءه.

اما الصبر على البلاء والمصائب، فيكون بترك السخط واحتمال المؤلم المكروه وترك الشكوى للناس فان الصبر الجميل ينافيه الشكوى للمخلوق واما الشكوى لله فلا ينافيه، قال عن لسان يعقوب: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾[٦٦].

وقال عن ايوب: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[٦٧].

ومما يسترعي هذا الصبر استحضار نعم الله التي لا تعد ولا تحصى فتهون على المصاب مصيبته ويقل وقعها على نفسه ويكون مثله من يعطى الف دينار ويفقد فلساً واحداً ومما يعين أيضاً على الصبر على البلاء وتذكر الجزاء العظيم للصابرين[٦٨].

وقد ذكر الله الصبر في القرآن الكريم نحو من تسعين موضعاً، واضاف اليه اكثر الخيرات والدرجات وجعلها ثمرة له، فقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾[٦٩]. وقال أيضاً ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾[٧٠]. وقال: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[٧١].

فما من عمل صالح الا واجره محسوب ومقدر الا الصبر، ولما كان الصوم من الصبر قال تعالى في حقه «الصوم لي وأنا أجزي به»[٧٢].

وقد وعد الله الصابرين بانه معهم وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال: ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[٧٣].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد ﷺ عن النبي ﷺ انه قال «ما اعطي احد عطاء خير واوسع من الصبر»[٧٤].

وفي حديث اخر الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد[٧٥] والصبر على نوعين:-

احدهما: بدني، كتحمل المشاق بالبدن، وكتعاطي الاعمال الشاقة من العبادات او من غيرها.

النوع الثاني: هو صبر النفاني عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى وهذا الضرب ان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة، وان كان الصبر في قتال، سمي شجاعة وان كان في كظم الغيظ سمي حلما، وان كان في نائبة مضجرة، سمي سعة صدر، وان كان في اخفاء امر، سمي كتمان سر وان كان من فضول عيش سمي زهداً، وان كان

صبراً على قدرٍ يسير من الحظوظ سمي قناعة [٧٦]. والتحلي بالصبر يعين على الفوز وعلى الانتصار في مواجهة الاعداء يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[٧٧].

ومعنى (ولا تهنوا) أي لا تضعفوا ولا تتوانوا في (ابتغاء القوم) أي في طلب الكفار للقتال فانه ﴿ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ﴾ أي ان الالم في القتال والمصابرة فيه قدر مشترك بينكم وبينهم، فلما لم يكن خوف الالم في القتال مانعا لهم عن قتالكم فيجب ان لا يكون فوق الالم في القتال مانعا لكم عن قتالكم، لا نكم ايها المؤمنون ﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ أي ترجون من الثواب من الله على جهادكم ما لا يرجونه لعدم ايمانهم بما تؤمنون به فانتم ايها المؤمنون اولى منهم في الجد والصبر والمصابرة في قتالهم[٧٨].

ويقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٧٩]. أي اصبروا على مالقيكم من الاذى في قتال العدو ومدافعته، وصابروا الاعداء الذين يقاومونكم ليغلبوكم على امركم ويخذلون الحق الذي في ايديكم ولا تكونوا اقل صبرا منهم، فالمصابرة تعني مقاومة العدة الخصم في ميدان الصبر (ورابطوا) أي اقيموا في الثغور رابطين خيولكم فيها استعدادا للقتال ومترصدين للعدة لئلا يتسلل الى داخل بلادكم، وقوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾، والمعنى فانكم لم تؤمروا بالجهاد من غير تقوى، فالصبر ومصابرة الاعداء، والمرابطة في ثغور بلاد الاسلام وتقوى الله باجتناب معاصيه وفعل ما يرضيه كلها من عوامل النصر على الاعداء في الدنيا كما انها إحسان النية وقصد اقامة الحق والعدل ودين الله الاسلام الذي شأن المسلم في قتاله وجهاده من أسباب الفوز والفلاح في الاخرة[٨٠].

المطلب السادس
الاخذ بالحذر

الحذر لغة: (لحذر) و (الحِذر) التحذر وقد (حذره) وبابه طرب ورجل (حذر) بكسر الذال وضمها أي متيقظ و(حذاري) بفتح الراء (التحذير والتخويف)[٨١].

والحذر: الخفية والتحذر التيقظ، ورجل حذر، أي: متيقظ متحرز ومتاهب لما يخاف ان يفاجأ به من مكروه[٨٢].

فالحذر يقوم على اساس المعرفة واخذ الحيطة يعرف مدى ضرر المكروه المتوقع حصوله، فيخاف من وقوعه خوفاً يدفعه الى أخذ الحيطة والتحرز ومباشرة الاسباب لمنع وقوعه او لدفعه اذا وقع او لتقليل اضراره واذاه فهو ليس بخوف مشوب بالاستسلام وقعود وانخلاع الفؤاد واضطراب الفكر وتشويش البال واليأس من الخلاص والاستسلام له قبل الوقوع، ولهذا فالحذر بالمعنى الذي بيناه غير مذموم وهو من صفات اهل الايمان والعقل السليم والفهم الدقيق لسنن الله في الكون، لامن صفات اهل الطيش والحماقة والجهل وقصد النظر، فهؤلاء يعرفون الحذر ولا تتسع له عقلهم لانهم لا ينظرون الى ابعد من انوفهم، ولايحسون بالمكروه المتوقع الحصول الا اذا وقع فعلاً اما قبل وقوعه فهم عنه لا هون ساهون، ومن ثم يفاجئون به فيدهشهم ويبهرهم والفرق دائما بين العاقل والجاهل، ان الاول يعرف الخطر قبل وقوعه، والمكروه قبل حلوله فيتخذ العبرة لملاقاته ودفعه.

وأما الثاني فلا يحس به اصلاً الا اذا وقع ومن ثم لا يتخذ من الاسباب ما يدفعه او يصدَّه(٨٣).

وجاء التحذر في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾(٨٤).

وهذه الآية الكريمة تدل دلالة صريحة قاطعة على وجوب اخذ الحذر، بل وتبين للمسلمين كيفية الحذر مما يدل على اهميته، فالامر بأخذ الاسلحة والامر بان يكون بعض المسلمين وراء المصلين يحمونهم من العدو وتقسيم المسلمين الى طائفتين، طائفة تصلي وطائفة تحرس والامر بأخذ الحذر، وبيان ان الكفار يرغبون ان يترك المسلمون الحذر والأخذ بأسبابه حتى يستأصلوا المسلمين مرة واحدة، كل ذلك دليل على وجوب الحيطة والحذر والتحذر من المكروه المتوقع. وقال تعالى:﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ ﴾﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾ هذه وصية بالحذر واخذ السلاح لئلا ينال العدو امله ويدرك فرصته قوله تعالى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي تمنى الكافرون غفلتكم عن اخذ السلاح ليصلوا الى مقاصدهم فبين الله تعالى بهذا وجه الحكمة في الامر باخذ السلاح، وذكر الحذر في الطائفة الثانية دون الاولى لانها التي تأخذ بالحذر، وفي هذه الآية ادل دليل على تعاطي الاسباب واتخاذ كل ما ينجي

ذوي الالباب ويوصل الى السلامة ويبلغ دار الكرامة، ثم قال الله (خذوا حذركم) أي كونوا متيقظين إذا وضعتم السلاح غفلة ولا تضعوه، وهذا يدل على تأكيد التأهب والحذر من العدو في كل الاحوال وترك الاستسلام، ان الجيش ما جاءه مصاب قط الا من تفريط في حذر[٨٥].

ويقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴾[٨٦].

وهو خطاب للمؤمنين وامر لهم بجهاد الكفار والخروج في سبيل الله وحماية الشرع، وامر لاهل الطاعة بالقيام باحياء دينهم، واعلاء دعوته وامرهم الله تعالى ان يقتحموا على عدوهم على جهالة حتى يتحسسوا ما عندهم ويعلموا كيف يردون عليهم، فذلك اثبت لهم[٨٧].

وفي السنة النبوية شواهد كثيرة على مشروعية الحذر ولزومه بالنسبة للمسلم ولا سيما للمسلم الداعي الذي يتعرض لمكائد الكفار والمنافقين منها مثلاً:-

عن عائشة (رضي الله عنها) ام المؤمنين قالت: أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة، في ساعة كان لا يأتي فيها، قالت: فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة الا امر حدث، قالت: فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله ﷺ عند أبي بكرﷺ – الا أنا واختي اسماء بنت ابي بكر فقال رسول الله ﷺ اخرج عني من عندك: فقال: يا رسول الله انما هما بناتي، فذاك أبي وأمي، فقال: ان الله اذن لي في الخروج والهجرة [٨٩].

وفي اخبار هذه الحادثة ان النبي ﷺ خرج وابو بكر من باب صغير في ظهر بيت أبي بكر ومضيا بجبل ثور فلم يصعدا الغارحتى قطرت قدما رسول الله ﷺ دماً، وقد نسج العنكبوت وعشعشت حمامتان على باب الغار.

ففي هذا الخبر والذي قبله دليل قاطع على وجوب الحذر، ويظهر ذلك من مجيء النبي ﷺ الى بيت أبي بكر في الهاجرة حيث ينقطع سير الناس عادة في الطريق او يقل طلبه ﷺ من أبي بكر ان يخرج من داره ومن فيها من يخشى اطلاعه على ما يقوله النبي ﷺ، فلما اعلمه ابو بكر بانهما ابنتاه لم ير بأسا من بقائهما، وخروجهما من في الغار وتحمله النصب للوصول اليه حتى ان قدميه الشريفتين قطرتا دماً وامر الله تعالى العنكبوت بنسج خيوطه، وتعشيش الحمامتين ليكون ذلك داعياً لصرف انظار المشركين عن وجودهما في الغار[٩٠].

وفي السنة النبوية ايضاً ان قريشاً عندما عزمت على قتل رسول الله ﷺ اتى جبريل عليه السلام الى رسول ﷺ فقال لا تبيت في هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه، فلما كانت عتمة الليل، اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول

ﷺ ذلك قال لعلي بن ابي طالب ﷺ «نم على فراشي وتشح ببردي هذا الحضرمي الاخضر، فنم فيه فانه لن يصل اليك شيء تكرهه منهم» ثم خرج عليهم رسول الله ﷺ واخذ حفنة من تراب في يده واخذ الله تعالى على ابصارهم عنه فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم(٩١).

كان اصحاب رسول الله ﷺ اذا صلوا ذهبوا في الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم يوم كانوا بمكة(٩٢).

ويجب أن يكون واضحاً تماما أن الاخذ بالحذر واسباب الحيطة واليقظة والتحرز لا يعني عدم الثقة بالله ولا ينافي التوكل عليه، لان الحذر من الاسباب ومباشرة الاسباب لا تنافي التوكل، لكن لا يجوز ابداً الاطمئنان والركون الذي يوفق اليه ويدل عليه ويجعله مفضياً الى نتيجته، ولو شاء لسلبه ما به سببا، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، بل ان المسلم يباشر الأسباب لان الله أمر بها.

الخاتمة

من خلال أعداي لهذا البحث أزداد إيماني ويقيني بأن هذا القرآن أنزله الله تعالى رحمة للعالمين، وتعريف على حقائق وتوصلت الى نتائج أعتقد أن فيها مقوداً لنهضة الأمة وتحررها مما تعاني من الظلم والقهر والحرمان فالله تعالى جعل للنصر والتمكين والتقدم أسباب في القرآن حاولت استنباطها واستخدامها من القرآن الكريم حيث يتحدث عن الأمم السابقة والسالفة، وأبرز ما توصلت إليه:

أولاً: الإسلام دين واقعي لا يغفل عما في العوامل المادية من قوة وهو يقدرها ما للإيمان من قوة ومن سببه في النصر والتمكين.

ثانياً: من عوامل الفوز والنصر والتمكين ذكر الله كثيراً حيث يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

ثالثاً: يجب ان تكون قوة للمسلمين مرهبة للعدو لأن الله تعالى أمرنا بإعداد القوة ولا نكتفي أن نقول أننا على حق والعدو على باطل لننتصر عليه.

رابعاً: أعظم أساسين بعد الايمان في النصر التمكين هما التقوى والعمل الصالح.

خامساً: الصبر والمصابرة والمرابطة في ثغور بلاد المسلمين من أهم عوامل النصر والتمكين.

سادساً: خاطب الله تعالى المؤمنين في القرآن أن يتحلوا بخلق الحذر وفي السنة النبوية شواهد كثيرة على مشروعية الحذر ولزومه بالنسبة للدعاة.

الهوامش

(١) سورة الأنفال الآية ٦٠.
(٢) سورة محمد الآية ٧.
(٣) سورة الحج الآية ٤٠.
(٤) سورة الرعد الآية ١١.
(٥) لسان العرب، ابن منظور/١-٤٣.
(٦) الوجيز في أصول الفقه، د.عبد الكريم زيدان، ٤٤.
(٧) سورة الكهف الآية ٨٤-٨٥.
(٨) بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي/٣-١٦٩.
(٩) الكشاف، للزمخشري /٣-٧٤ .
(١٠) مجموع فتاوى أبن تيمية /٨-٧٠ .
(١١) سورة البقرة الآية ٢٢ .
(١٢) سورة الأنفال الآية ٢٩.
(١٣) سورة الحاقة الآية ٢٤.
(١٤) سورة إبراهيم الآية ١.
(١٥) سورة الطلاق الآية ٢.
(١٦) مدارج السالكين، ابن القيم /٣-٤٧٨.
(١٧) مجموع فتاوى أبن تيمية /٨-٧٠.
(١٨) سورة الصف الآية: ١٣.
(١٩) سورة النصر الآية: ١.
(٢٠) سورة آل عمران الآية: ١٦٠ .
(٢١) مفردات غريب القرآن، الاصفهاني، ٨٠٩.
(٢٢) سورة طه الآية، ٥٨.
(٢٣) سورة النور الآية: ٥٥.
(٢٤) سورة آل عمران الآية: ١٥٤.

[٢٥] مختار الصحاح، ص٢٦.
[٢٦] سورة يوسف الآية ١٧ .
[٢٧] مفردات غريب القرآن للراغب الاصفهاني، ص٥٣٠ .
[٢٨] سورة الروم الآية ٤٧.
[٢٩] تفسير المنار، ٣٨/٧ .
[٣٠] سورة الأنفال الآية ١٩.
[٣١] تفسير القرطبي، ٣٧٨/٧.
[٣٢] تفسير الالوسي، ٢٥/٢١.
[٣٣] سورة الأنفال الآية ١٩.
[٣٤] السنن الإلهية، ص٥٤.
[٣٥] سورة الانفال الآية ٦٥-٦٦.
[٣٦] سورة الانفال الآية ٤٣-٤٤.
[٣٧] ينظر: تفسير الزمخشري، ٢٢٤/٢.
[٣٨] السنن الالهية، ص٥٨.
[٣٩] سورة البقرة الآية ٨-١٢.
[٤٠] سورة البقرة الآية ١٤٢ .
[٤١] سورة النمل الآية ١٤.
[٤٢] سورة ص الآية ١.
[٤٣] مختار الصحاح، ص٢٢٢-٢٢٣.
[٤٤] سورة الأنفال الآية ٤٥.
[٤٥] ينظر: تفسير الزمرخشي، ٢٢٠/٢، تفسير الالوسي ١٤/١٠، تفسير المنار، ٢١/١٠.
[٤٦] أصول الدعوة، ص٧١.
[٤٧] سيرة ابن هشام، ٣١٤/٣ .
[٤٨] سيرة ابن هشام، ٣١٥/١.
[٤٩] سورة الأنفال الآية ٦٠.
[٥٠] السنن الالهية، ٦٧.
[٥١] صحيح مسلم، ٨٨٦٢، الجامع الصحيح البشير النذير للسيوطي، ٥٣٦/٢.

(٥٢) السنن الالهية، ٦٩.
(٥٣) سورة الانفال الآية ٦٠.
(٥٤) ينظر: التفسير الزمخشري، ٢/٢٣٢، تفسير القرطبي، ٢/٣٥-٣٨، تفسير الالوسي، ١٠/٢٦، تفسير المنار، ١٠/٦١.
(٥٥) مفردات القرآن غريب للراغب الاصفهاني، ص٥٣٠.
(٥٦) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية، ٨/٥٢٩.
(٥٧) سورة آل عمران الآية ١٢٤-١٢٥.
(٥٨) العقد الفريد، تأليف ابي عمر احمد بن محمد بن عبد ربه، ١/١٣٠.
(٥٩) التقوى، لما رديني، ص١٦.
(٦٠) واحات الايمان، عبد الحميد البلالي، المجموعة الثانية، دار الدعوة، ص٧٨-٧٩.
(٦١) مرشد الشباب للنجاة في يوم الحساب، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة احسان قاسم الصالحي، مطبعة الخلود، ص٩٤-٩٥.
(٦٢) سورة الطلاق الآية ٢.
(٦٣) تفسير ابن كثير، ٤/٣٧٩.
(٦٤) سورة الانحل الآية ١٢٨.
(٦٥) سورة التوبة الآية ٤٠.
(٦٦) تفسير ابن كثير، ٢/٥٩٢.
(٦٧) سورة آل عمران الآية ١٢٥.
(٦٨) تفسير القرطبي، ٤/١٩٥.
(٦٩) سورة الاعراف الآية ٩٦.
(٧٠) تفسير الرازي، ١٤/١٨٥.
(٧١) مختار الصحاح، ص٣٥٤-٣٥٥.
(٧٢) سورة يوسف الآية ٨٦.
(٧٣) سورة الانبياء الآية ٨٣.
(٧٤) اصول الدعوة، الدكتور عبد الكريم زيدان، ص٣٤٨-٣٤٩.
(٧٥) سورة السجدة الآية ٤٢.
(٧٦) سورة الاعراف الآية ١٣٧.
(٧٧) سورة الزمر الآية ١٠.

[٧٨] اخرجه البخاري، ٨٨/٤ ومسلم (١١٥١) ومالك (٣١٠/١) وابو داود (٢٣٦٣) والترمذي (٧٦٤) والنسائي (١٦٢/٤).

[٧٩] سورة البقرة الاية ١٥٧.

[٨٠] اخرجه البخاري، ٢٦٥/٣ ومسلم (١٠٥٣) ومالك (٩٩٧/٢) وابو داود (١٦٤٤) والترمذي (٢٠٢٥) والنسائي (٩٥/٥).

[٨١] اخرجه الديلميي في مسند الفردوس عن انس، وفيه يزيد الدخاشي وهو ضعيف، ورواه موقوفاً على علي البيهيقي في شعب الايمان وكذا في اتحاف السادة المتقين (٧/٩).

[٨٢] مختصر منهاج القاصدين، تاليف الامام الشيخ احمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي المتوفى سنة ٦٨٩هـ، الناشر مكتبة الشرق الجديد، بغداد ،ص٣٤٣-٣٤٤.

[٨٣] سورة النساء الاية ١٠٤.

[٨٤] تفسير الرازي، ٣٦/١١.

[٨٥] سورة آل عمران الآية ٢٠٠.

[٨٦] ينظر: تفسير الزمخشري، ١٩٠/١، تفسير القرطبي، ٣٢٢/٤ ، التفسير القيم لابن القيم، ص٣٢٢، تفسير المنار، ٣١٨/٤.

[٨٧] مختار الصحاح، ص١٢٧.

[٨٨] لسان العرب، ج٥، حرف الراء.

[٨٩] ينظر: اصول الدعوة، ص٤٤٩.

[٩٠] سورة النساء الآية ١٠٢.

[٩١] تفسير القرطبي، ٣٧١/٥.

[٩٢] سورة النساء الآية ٧١.

[٩٣] تفسير القرطبي، ٣٧٣/٥.

[٩٤] سيرة ابن هشام، ٩٧/٢، امتاع الاسماع، ٣٩.

[٩٥] ينظر: سيرة ابن هشام، ٩٨/٢، وامتاع الاسماع، ص٤٠.

[٩٦] سيرة ابن هشام، ٩٥/٢.

[٩٧] سيرة ابن هشام، ٢٧٥/١.

المصادر والمراجع

- بعد القرآن الكريم.

١. أصول الدعوة، الدكتور عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة ناشرون، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٩م.
٢. أمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، للشيخ أحمد بن علي المقريزي، صححه وشرحهُ محمود محمد شاكر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة بالقاهرة، ١٩٤١م.
٣. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي.
٤. تفسير القرآن الكريم، ابن كثير أبو الفداء إسماعيل، تحقيق: عبد العزيز غنيم ومحمد أحمد عاشور، ومحمد ابراهيم البنا، مطبعة الشعب، القاهرة، مصر.
٥. التفسير القيم، لابن القيم.
٦. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ط٣، دار المنار ن القاهرة، ١٣٦٧هـ.
٧. الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ)، طبعة مصطفة البابي الحلبي.
٨. الجامع لأحكام القرآني، للأمام القرطبي (ت٧٧٤هـ)، دار الكتب.
٩. روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، دار الفكر.
١٠. سنن أبو داود، سليمان بن الأشعث (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
١١. السنن الإلهية في الأمم والجماعات والافراد، د.عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
١٢. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٩٧هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٣. سنن النسائي (المجتبى)، احمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ٢١٥-٣٠٣هـ، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة.
١٤. السيرة النبوية، لابن هشام، دار إحياء التراث، الطبعة الثانية، ١٧١٤هـ/١٩٩٧م.
١٥. صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، (ت٢٥٦هـ)، دار الفكر، بغداد، ١٩٨٦م.

١٦. العقد الفريد، تأليف أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه.
١٧. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، أبي القاسم جار الله محمود بن الزمخشري– الخوارزمي ٤٦٧–٥٣٨هـ، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي.
١٨. لسان العرب، العلامة جمال الدين أبي الفضل بن مكرم بن منظور الانصاري الافريقي المصري، (ت٧١١هـ)، ط، بيروت ١٩٥٦م.
١٩. مجموعة الفتاوي، تقي احمد ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، جمع عبد الرحمن القاسم، طبع دار للأفتاء، المملكة العربية السعودية.
٢٠. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي (ت٦٦٦هـ)، الناشر، دار الرسالة، الكويت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٢١. مختصر منهاج القاصرين، الامام الشيخ احمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، مكتبة الشرق الجديد، بغداد،١٩٩٠م.
٢٢. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك ستعين، أب عبد بن أبي بكر أبن القيم الجوزية، ٦٩١–٧٥١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان.
٢٣. مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، الأمام الغمر الرازي، (ت٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، طهران، الطبعة الثانية.
٢٤. مفردات غريب القرآن، أبي الاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت٥٠٢هـ)، دار المعرفة، لبنان/ بيروت.
٢٥. الموطأ، الأمام الأئمة وعالم المدينة مالك بن أنس ﷺ، تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار إحياء العلوم، بيروت.
٢٦. واحات الإيمان عبد الحميد البلالي، دار الدعوة.
٢٧. الوجيز في أصول الفقه، د.عبد الكريم زيدان، ط١، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م.